
دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية



تجربة العمل (التطوعي) في الدولة الصهيونية

إبراهيم بن سليمان الحيدري(*)
alhaidari5@hotmail.com

إنه اختبار لقيمة العدل فينا؛ العدل الذي أمرنا الله - تعالى - أن نقيمه حتى مع الأعداء؛ عند الحديث عن تجربة الدولة الصهيونية في العمل التطوعي. فنحن أمام تجربة تقل مثيلاتها في العالم الحديث، ومسيرة يمكن الاستفادة منها مع مرارة طعمها. فدولة لم يمض على تكوُّنها سوى خمسين عاماً، وأمة تحسب أن كل صيحة عليها عدوٌّ منقضٌّ؛ تمكَّنت من تشييد قطاع تطوعي فاعل ومؤثر في أغلب جوانب حياة الإنسان اليهودي على أرض فلسطين المحتلة أو خارجها. مكامن قوة العمل التطوعي في الدولة الصهيونية تتضح في عدة نقاط، تشترك في بعضها مع العالم الغربي الذي تزدهر فيه صناعة العمل التطوعي، وتنفرد في بعضها عنه، فمن تلك النقاط:

• حجم القطاع التطوعي:

مع أن الدولة الصهيونية كانت وما زالت تعيش حالة حرب وهو الوضع الذي لا يشجع إطلاقاً على النمو والازدهار؛ إلا أن عدد المنظمات التطوعية فيها حالياً أكثر من ٤٠,٠٠٠ منظمة تطوعية وَفْقاً لآخر الإحصاءات. ولقد شهد هذا القطاع قفزة عددية في العقد الأخير؛ فقد كان لا يتجاوز عدد المنظمات التابعة له عام ١٩٩٩م ٢٧,٠٠٠ منظمة، وتتمركز أكثر هذه المنظمات التطوعية في مدينتي القدس وتل أبيب. ويعدّ عدد المنظمات التطوعية كبيراً جداً إذا ما أخذنا في الحسبان أن عدد المغتصبين اليهود في فلسطين المحتلة - حسب الوكالة اليهودية - قرابة خمسة ملايين نسمة.

• أثر القطاع التطوعي على الاقتصاد الصهيوني:

تُعدّ المساهمة التي يضيفها القطاع التطوعي إلى اقتصاد الدولة الصهيونية؛ فريدةً من نوعها؛ فهي الأبرز عالمياً، وقد شكلت هذه المساهمة عام ٢٠٠٦م ما نسبته ١٣,٣٪ من الناتج المحلي الإجمالي، حيث دعمت الاقتصاد الصهيوني بأكثر من ١٤ ألف مليون دولار أمريكي سنوياً، وهو ما يزيد عن ميزانية قطاعَيْ الصحة والخدمة الاجتماعية في دولة خليجية لعام ٢٠٠٨م والتي لا تتجاوز ١٢ ألف مليون دولار. ليس هذا فحسب؛ بل إن عدد ما يوفره القطاع التطوعي من وظائف لأفراد الشعب الصهيوني يبلغ ٢٣٥,٠٠٠ وظيفة بدوام كامل، وهو ما يمثل نسبة ١٠٪ من إجمالي العاملين لديهم. ولقد أسهم القطاع التطوعي بشكل فاعل في تشييد البنية التحتية لما يسمى بالدولة الصهيونية.

• مصادر تمويل العمل التطوعي:

وَفْقاً لتقارير رسمية فإن هناك ثلاثة مصادر رئيسة تمدُّ المنظمات التطوعية في الدولة الصهيونية بالدعم المالي، وهي:

أولاً: عوائد عمليات بيع السلع والخدمات: فكثير من المنظمات التطوعية الصهيونية لها ذراع تجاري، ويمثل هذا المصدر نسبة ٣٦٪ من حجم الدعم المالي المقدَّم للمنظمات التطوعية.

ثانياً: التبرعات: التي يسهم بها الأفراد والمنظمات الأخرى، وتبلغ نسبتها في حجم الموارد المالية للمنظمات

(*) ماجستير في الإدارة، باحث في إدارة العمل الخيري.

التطوعية ١٣٪، وتُعَدُّ هذه النسبة الثانية على مستوى العالم بعد أمريكا، وهي تسبق بذلك بريطانيا، إلا أن الجدير ذكره أن الجزء الأكبر من هذه التبرعات يأتي من خارج الدولة.

ثالثاً: الدعم الحكومي: وهو أهم المصادر وأكثرها تأثيراً، إذ تبلغ نسبته في حجم التمويل ٥١٪، ومن أبرز صوره: الدعم المباشر، وشراء الحكومة للخدمات التي تقدِّمها المنظمات التطوعية. وهو ما يعكس صورة من صور دعم ومساندة الحكومات للعمل التطوعي، خلافاً لما تلاقيه المنظمات التطوعية في الوطن العربي من تهميش وتشكيك ومصادرة.

• التبرُّع والتطوُّع لدى الشعب الصهيوني:

إضافة إلى عدد الموظفين الدائمين في المنظمات التطوعية الصهيونية والذي يبلغ ٢٣٥,٠٠٠ موظف؛ فإن أعداداً متزايدة من الصهاينة ينخرطون في أعمال تطوعية، ففي عام ٢٠٠٦م بلغت نسبة المساهمين في أعمال تطوعية في المجتمع الصهيوني ٤٥٪. ويفسر أحد الباحثين ذلك الإقبال الكبير على العمل التطوعي بإيمان اليهود بالمسؤولية المشتركة تجاه بعضهم.

ومع أن هناك ارتباطاً منطقياً بين مستوى الدخل ومستوى العطاء في أي مجتمع؛ إلا أن الوضع في المجتمع الصهيوني لا يعكس ذلك بوضوح؛ فالأغنياء والفقراء - على حدٍّ سواء - يسهمون في التبرعات بشكل فاعل، فقد أوضحت إحدى الدراسات عام ٢٠٠٦م أن نسبة التبرع بين الأغنياء تصل إلى ٩٠٪ في حين أنها لم تقلّ عن ٧٠٪ بين فقراء الشعب الصهيوني. ومن بين الأعراق المتنوعة عندهم فإن اليهود من أصول أوروبية وأمريكية هم أكثر الأعراق سخاء في التبرعات.

• الوضع القانوني للمنظمات التطوعية الصهيونية:

تأخذ منظماتهم التطوعية ثلاث صور قانونية عند التسجيل: الجمعيات، والأمانات، وشركات ذات غرض عام (غير ربحي). ولقد استفادت الدولة الصهيونية من تنظيم العمل التطوعي في بريطانيا وأمريكا. ووَفْقاً لتصنيف جامعة (جون هوبكنز) العالمي الذي يصنِّف المنظمات غير الربحية إلى ١٢ صنفاً؛ فإن المنظمات الدينية تمثل ما لا يقل عن ربع المنظمات التطوعية لديهم. بينما تتوزع البقية في الأصناف الأخرى؛ كالصحة والرفاهية، والتعليم والبحث، والثقافة، والدفاع عن الحقوق، والتطوير والإسكان، والاتحادات المهنية، وغير ذلك. ومع أهمية الدِّين في نشوء العمل التطوعي في أي دولة ومجتمع إلا أنه لم يكن المحرك الوحيد في التجربة الصهيونية، وهذا ما يفسر وجود أكثر من ٣٠,٠٠٠ منظمة تطوعية غير دينية في (الأرض المحتلة) مع أنها بالتأكيد سوف تدعم بشكل غير مباشر المشروع الديني والعقدي الذي تقوم على أساسه دولتهم. كما ينتشر بوضوح بين اليهود المقيمين في الخارج ما يسمى بالصناديق التطوعية التي تدير تبرعات أفراد وعائلات يهودية غنية.

وعند الحديث عن العمل التطوعي الصهيوني فإنه لا ينبغي إغفال الحديث عن امتداده خارج نطاق الدولة الصهيونية، فكما ذُكر سابقاً فإن أغلب التبرعات التي تحصل عليها المنظمات التطوعية الصهيونية تأتي من الخارج؛ ففي بريطانيا - على سبيل المثال - ما لا يقل عن ٢٣٠٠ منظمة تطوعية يهودية مسجلة جمعت في عام ٢٠٠٧م ما لا يقل عن ألف وأربعمائة مليون دولار، بينما لا يتجاوز ما جمعته ١٣٧٣ منظمة تطوعية إسلامية مسجلة في بريطانيا ٤٠٠ مليون دولار. وإن أبرز الدول التي تجعل جزءاً كبيراً من خيراتها للعمل التطوعي الصهيوني هي أمريكا التي يوجد فيها ما لا يقل عن ٥,٥٠٠,٠٠٠ يهودي أمريكي وهو الرقم الذي يوازي عدد سكان اليهود في الأرض المحتلة نفسها.

• المنظمات التطوعية اليهودية في أمريكا:

للمنظمات التطوعية اليهودية في أمريكا أثر كبير بين الجالية اليهودية التي لا تزيد نسبتها عن ٢٪ من حجم سكان أمريكا، ولها أثرها الكبير أيضاً في المجتمع الأمريكي وصنَّاع القرار أيضاً، ويكمن تأثيرها في إتقانها صنعة جمع التبرعات بطريقة احترافية بين الأفراد العاديين وبين الأغنياء أصحاب الثروات الطائلة، وفي قدرتها على توجيه هذه التبرعات بما يخدم دولتهم بالدرجة الأولى ومصالح اليهود داخل أمريكا وخارجها بالدرجة الثانية.

ويبلغ عدد المنظمات التطوعية اليهودية في أمريكا الآلاف، وهي في نموٍّ ملحوظ ومطرد؛ سواء كان في العدد أو في حجم الممتلكات والأصول. ومن بين أكبر ١٠٠ منظمة تطوعية أمريكية هناك ثماني منظمات تطوعية يهودية. ومن أبرز هذه المنظمات في أمريكا: منظمة (Annenberg Foundation) التي تبلغ أصول أموالها أكثر من ٢,٥ بليون دولار (أي: ألفين وخمسمائة مليون دولار)، ومنظمة (Weinberg Foundation) التي تبلغ أصول أموالها قرابة ألفي مليون دولار.



ولإلقاء نظرة سريعة على حجم وأوجه صرف التبرعات اليهوديـة في أمريـكا فيكفي أن نتأمل فـي عوائد الحملة السـنوية التي تقيمها شـبكة من المنظمات اليهودية في كل ولايات أمريـكا والتـي تبلغ قرابة ألـف مليون دولار. وفي دراسة شـملت أكبر ٥٦ صندوقاً تطوعياً يملكه أفراد أو عوائـل يهودية في أمريكا وتبلـغ أصول أموالها مجتمعة ١٧ ألف مليون دولار؛ اتضح أنها تبرعت بما لا يقل عن ألف ومئتـي مليون دولار خلال عـام ٢٠٠٥م، وكان ربعها تقريباً موجهاً إلى منظمات يهودية، والتي سـتصل - في الغالب - إلى الدولة الصهيونية بطريق من الطرق.

وهنـاك ثلاث قنوات رئيسـة لإيصال تبرعـات اليهود الأمريكيين إلى الدولة الصهيونية:

أمـا القناة الأولـى: فالكثير من الصناديـق والمنظمات اليهوية تدعم الحكومة الصهيونية بشكل مباشر، وأما القناة الثانيـة: فتتمثل فيمـا تبعثه المنظمـات التطوعية اليهودية الأمريكيـة إلى المنظمات التطوعيـة في الأرض المحتلة، وأما القناة الثالثة: فإن لكثير من المنظمات اليهودية الأمريكية مكاتب رسمية تمثلها في الدولة الصهيونية وتنفذ من خلالها مشاريعها وبرامجها.

وبعـد؛ فإن هذه الرحلـة القصيرة في مسيرة العمل التطوعي لدولة مثل الدولـة الصهيونية لا تخلو من الأوجه التي يمكن الاسـتفادة منها من قِبَل القائمين على المنظمات التطوعية الإسلامية، ومنها: أنه ينبغي على الدعاة والمصلحين الانطلاق بالعمل التطوعي نحو آفاق جديدة ومجالات متنوعة تمسُّ حاجة المجتمعات وتتجاوز الصبغة التقليدية التي تطغى على أغلب أعمال المنظمات التطوعية في الدول الإسلامية، وأن تتحول ممارسات العمل التطوعي في البلدان الإسلامية إلى صناعـة احترافية بعيداً عن إعطائـه فضول الأوقات والجهود. ومنهـا أيضاً: أن البعد الاسـتراتيجي في العمل التطوعي مطلب ملحٌّ وحاجة أكيدة سيجني المتطوعون ثمرته إذا ما تمَّ تطبيقه بشـكل صحيح. كمـا أن قدرة المنظمات التطوعيـة اليهودية على امتصاص التبرعات من الشـعوب الأخرى وتحويلها إلى دولتهم تؤكد أهمية أن لا ينساق محبُّو الخير من المسلمين وراء (المحلية) في العمل التطوعي، بل إن التوازن بين (المحلية والعالمية) في العمل التطوعي الإسلامي مطلوب؛ فقدرات ومقدرات الشعوب الإسلامية الغنية قادرة على المساهمة الفاعلة في سدِّ الثغرات وتلبية الحاجات في كلا المجالين.

وأبلغ ما يستفاد من هذه التجربة، والذي يؤكده كثير من التجارب الناجحة في دول الشمال، أن الحكومات بما تسنُّه من أنظمة مسـاندة ومطورة للعمل التطوعي ومنظماته هي الركيزة الأولى لنجاح القطـاع التطوعي وقيامه بدور فاعل في مسـيرة التنمية والنهوض بعد إرادة الله تعالى. فنسأل اللـه أن يلهم صنَّاع القرار في بلداننا الإسـلامية والعربية الرغبة الصادقة لفتح الباب الأوسـع لعمل تطوعي مستقل يتوافق مع قدرات أمة الزكاة والصدقة.

• المراجع:

Faith Groups: Jewish Charities (2007) In: www. charity-commission. gov. uk. Charity Commission in the UK.

The History of Jewish Giving in America (2007) by: Evan Mendelson. In: www. jewishvirtuallibrary. org/ jsource/ Judaism/ philanthropy. html.

Jewish Philanthropy in American Society (2006) by: Dr. Gary Tobin. Institute of Jewish and Community Research USA: San Francisco.

Mega-Gifts In Jewish Philanthropy (2007) by: Gary Tobin and Aryeh Weinberg. Jewish and Community Research. USA: San Francisco.

The New Jew: Blogging Jewish Philanthropy (2007) in: www. thenewjew. wordpress. com.

A Study of Jewish Foundations (2007) by: Aryeh Weinberg and Gary Tobin. Jewish and Community Research. USA: San Francisco.

The Israeli Third Sector (2007) The Israeli Center for Third Sector Research. Bin Grunion University of The Negev.

Israel Third Sector (2004) by: Nissan Limor.

Jewish Charity Guide (2006) in: www.jewishcharityguide. co. uk.

Jewish Charities of America (2007) in: www . jewishcoa. org.